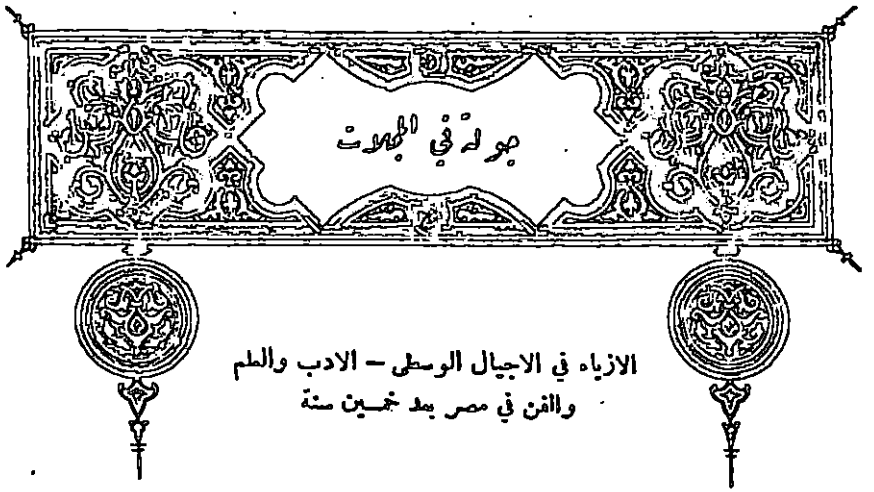

الازياء في الاجيال الوسطى — الادب والعلم
والفن في مصر بعد خمسين سنة

الازياء في الاجيال الوسطى

ظهر في ايلول الماضي عدد مجلة « الكلية » السادس والاخير لا من مجلدها الثامن عشر فقط ، ولكن من « الكلية » ايضاً كما ظهرت الى يومنا مجلتها وموادها . فان ادارتها ودّعت القراء ووعدتهم بالظهور بشكل جديد ، انسب الى ما تراه موافقاً للحالة الحاضرة ، اذ كثرت المجلات والصحافة بين العامة . فقالت ان الجامعة الاميركية في بيروت « توجّه القوى الى اصدار الكتب العلمية ونشر المخطوطات القيّمة التي هي من ثمار التخصّص » . وفي هذه المناسبة نشكر للرصيفة ، عند احتجابها ، خدماتها للادب ونروي عنها باختصار مقالاً على الازياء موقعاً باسم الدكتور ل . ا . ماير . (ص ٤٢٨)

الكلام انما هو على ازياء الرجال . وان هذه الازياء لا تزال شائعة بين فلاحي فلسطين مع تغيّر طفيف طرأ عليها . كان السلاطين يخلعون الخلع ثياباً تتفاوت قيمتها مع تفاوت رتب المخلوع عليهم ومع تقلب الظروف ، وكان اهداء الثياب من الاعلى الى الادنى يعد تندمة اكرامية ، ومن الادنى الى الاعلى رشوة او برطيلاً . ولم تكن الازياء تختلف مع اختلاف المهن والاديان فقط ، ولكن مع اختلاف درجات الوظائف ايضاً .

(مصادر الكلام على الازياء) كتاب السلوك للمقريزي ، وكتاب معجم اسماء الازياء عند العرب للمستشرق دوزي ، وغير ذلك من كتب اخبار ايام العرب ، ومن كتب الانشاء لموظفي الحكومة ، منها مطبوع ومنها غير مطبوع وهو مخطوط وعليه صور وزخارف . على ان الاسهاب ناقص في ما يرد الاثري حالاً ان يجده في المخطوط مما جسه من امر الازياء .

وهناك اخبار السياحات في الاراضي المقدسة وسورية ومصر ، وما اوحته الى المصورين ، عند تصاويرهم ، ازياء الشرق وغير ذلك مما بلغت معرفته الفنانين الافرنج فصوروا الازياء واتقنوا التصاوير وهي مطابقة لاقوال المؤرخين العرب ، وبعضها يدلّ على ان المصوّر عرف الشيء الذي وصفه لا عن حديث غيره ولكن عن شهادة عين . وهذه بعض المعلومات عن اهم الملابس :

القميص : ليس له ذكر.

القباء : تلبس فوق القميص ، وهي قفرية الاصل يؤثر في صنعها الحرير الملوّن ، لها كمّان قصيران ضيقان . كان الامراء المصريون يتقلدون السيف فوق القباء جاعلين الصولاق على اليمين. كان القباء رداء طويلاً مصنوعاً من الاطلس الاحمر ومزركشاً بالقصب ، وله طراز على حاشيته وبطن كله بفرو.

الحزام : كان من نسيج رفيع حرير او شاش.

المنطقة او النجاد : كانت من القصب الفضي او الذهبي ، وهي لباس المسلمين بمقتضى الحديث والتفسير. وكانت قيمة المنطقة او النجاد عظيمة.

الطربوش او الشربوش.

القبعة : من مواد قاسية كمراد الطربوش او الشربوش ، ولا يلفّ عليها شيء . تصنع اصلاً من فرو ، وتحشى من الداخل، وهي مخروطية الشكل.

الكالوطة : اخف من الشربوش وزناً ، وهي قبعة صفراء مخرجة تخريجاً عريضاً ذات كلاليب تلبس مع العمامة او بدونها.

التخفيفية : اي العمامة الخفيفة.

الطاقية : وهي في الاصل قبعة يلبسها الشبان والشابات . كانت مسطحة الشكل متنوعة الالوان يبلغ طولها نحواً من خمسة قراريط ، ثم زاد علوها حتى بلغ ١٨ قيراطاً. وجعل اعلاها مستديراً ، وشكلها كالقبة.

القلنسوة : كانت احطّ جميع البسة الراس ، وهي عبارة عن قبعة صغيرة تلبس تحت العمامة.

الخف : للرجل وكان يصنع من الجلد البلغاري المدبوغ.

السقمان : يلبس فوق الخف.

المركوب او الترجيل : كان اثقل وزناً من الخف ، يصنع من السختيان الاحمر وينتهي براس معقوف الى الاعلى.

العمامة : كانت قطعة اللباس الذي يمتاز به العلماء عن سواهم.

الطرحة : لرجال الدين ايضاً تلفّ حول العمامة دون شدّ ، او تبسط على الكتفين ، وفي كلا الحالين كانت تتدلى وتغطي قسماً من الظهر.

الطيلسان : يشابه الطرحة.

الفرجية : كانت رداء علماء الدين ، تصنع من صوف او من حرير . او من قطن وهي نوعان الفوقانية والتحتانية. وللفرجية ازرار واربطة مزخرفة.

الجبة والبيقار.

وقال الدكتور مايرز عن البسة السلطان :

ولدينا شروح ضافية للزي السلطاني . فكان السلطان من المماليك يلبس يوم تنصيبه ثياباً سوداء ، واللون الاسود هو ما امتاز به العباسيون . وكان من

شطار الوظيفة عمامة سوداء وجبة سوداء التي بطراز الذهب . ولكن السلطان كان عادةً يرتدي ثياباً بيضاء . ولم يكن يظهر بثيابه البيض فقط بل حين كانت الحال تقضي بذلك كان يتزيا بزي زهد كما حدث سنة ٨٣١ للهجرة حين منيت مصر بقحط مخيف وقدّم اهل البلاد كافة التضرعات من اجل فيض النيل . كان السلطان حينئذٍ يلبس جبة بيضاء وعمامة صغيرة من اللون نفسه ويرخي لها عذبة تتدلى منها الى الوراء . وكان يلبس فوقها عباءة صوف بيضاء ويتعطى صهوة جواد غير ما كان عادة يزدان به في الاوقات الاخرى كالسرج المعرق بالذهب وما يجلله من الحرير النفيس .

وكانت ثيابه عادة جامعة لالوان كثيرة وان كان في المواقف الرسمية يرتدي الثياب البيض التي كانت مزيجاً من الزي العسكري والزي الديني . وكان اهمّ شيء فيها لباس الراس . ونعلم ان السلطان كان في بعض الاحيان يلبس شربوشاً لان بيبرس منح لقلاوون شربوشه مرة . ونعلم من الجهة الاخرى انه في عهد المماليك البحريين كانت عمامة السلطان تمتاز بعصابتين . وفي هذا الزمان كان مجرد ذكر العصابة ينقل الى الخاطر مظهر شيء متطاير في الهواء . ولذلك كانت الاعلام السلطانية ، التي تتألف من قدد قماش طويلة مثلثة الشكل ومربوطة بالرماح . ومع كرور الزمان حذا الامراء حذو السلاطين وانتحاوها هم ايضاً وبعد ان نالت رضى الجمهور صاروا يدعونها قروناً . وبما ان تغرى بردى حاكم القدس الاول هو الذي ادخل هذا الزي الى المدينة المقدسة ، لقب بذي القرون وكانت عمامة السلطان اكبر حجماً من عمامة العلماء .

ف . ت .

الادب والعلم والفن في مصر بعد خمسين سنة

لنرصيفة « الهلال » استفتاءات غريبة تطلع علينا بها بين وقت وآخر فتشغل طائفة من مفكري القطر الشقيق بتأليف الاجوبة عن اسئلة ان لم تأخذ المطالعين باهميتها الراقية اخذهم بما تبعث فيهم من فضول علمي وتشوّق الى معرفة الغريب . وهكذا تفيد الرصيفة مادة سهلة الإعداد ويستفيد القراء معلومات متنوعة حتى التناقض في موضوع واحد . من ذلك ما بدأته في عدد نوفمبر الاخير من « نظرات في المستقبل » عرضت فيها «حالة مصر بعد ٥٠

عاماً » في الشؤون الاقتصادية والمالية والاجتماعية والثقافية . وقد احببنا ان نطلع القراء الكرام على حالة الادب والعلم والفن في مصر سنة ١٩٨٣ ، على رأي خليل بك مطران قال (ص ٤١) :

« سيكون لنا بعد نصف قرن ما نصبو اليه الآن ، ادباء عالميون وكتاب ينتشر لهم صيت في كل مكان ، وتترجم منتجاتهم البديعة الى اللغات كافة . لا اتكلم على سبيل الامنية ، أنا استنتج محترساً ناظراً الى الغاية من المستهل . فلا شك في ان الاحوال المعنوية والظروف المادية ستتطور ، ولا شك في ان الاديب سيدنو فنه من الكمال المنشود . فقد أرى ان الرخاء واليسر ضروريان لتقدم الفنون الجميلة .

« ومن العسير تعيين الاتجاه الذي تسلكه القصة والرواية في نصف القرن القادم . لكن يمكن الظن بان الفكرة الصوفية — بالمعنى السامي — ستعمر هذه القصص وتعيش بها ولها شخصياتها ، ولأردد كلمة الشاعر الهندي طاغور ، وهي التي نادى بها قادة الفكر في عصرنا الحاضر ، الفكر الحديث الذي فهمنا انه يتجه الى الله بعد ان كاد يتجه في القرن الماضي الى المادة وعبادة الارضيات . قال طاغور في حديث له مع كاتب جريدة امريكية : ان المدنية الغربية قد سئمت ضوضاء الآلة وعافت المادية . وليس امامها سوى الهدوء والسكينة مهرباً . تعبد في قدسه وجه الاله في صمت ملائكي .

« فكأن الحضارة قد تطورت الى اتجاه نحن مبرزون فيه ، قد فطرنا عليه وركزته عهود الاستبداد والظلام في طبائعنا . فانه لم يكن امامنا معاشر الشرقيين سوى الله نستعديه على الاقوياء ونفيء الى ظله الرحيم ونستريح الى ما يسبغه علينا من صبر وراحة بال ، حين كان الصبر قوام الحياة وملاك القوة . وحين كانت راحة البال غذاء ضرورياً لاشباع روحنا الجائعة وتسكين نفوسنا القلقة .

« ان الرواية المسرحية والقصة — صغيرة أو مستفيضة — ستزدهر على طراز مستحدث . كيف لا ونحن الذين ابتدعنا هذا الفن وسمونا به الى الكمال ، فأعطينا للادب العالمي والفن الانساني اثمن درة واغنى بها « الف ليلة وليلة » .

ويغلب القصص على عيون الكتب الادبية عندنا من مثل الاغاني وما اليها.

« سيكون الاديب في سنة ١٩٨٢ في زغد من العيش . الكتاب الواحد او الرواية الواحدة تدر على صاحبها آلاف الجنيهات . ويومذاك تكثر شركات النشر والطباعة وترتقي الصحافة وتباع الجرائد بالملايين . وقد لا اغالي اذا حسبت ان مصر ستغدو اروج ميدان للأدب العربي والفكر العربي ، يهرع اليها من سائر الاقطار الشقيقة المباقرة والنبغاء لينضموا الى الاسرة الفنية الادبية.

« ثم لا يبعد ان توجد مدارس في الادب والنقد . وعندي ما يجعلني اعتقد ان علماء مصر سيتممون عمل المستشرقين الذين اقول انهم عاجزون عن اتمامه لبعدهم عن الروح العربية ، ولان بعضهم متعصب من غير وعي يعالج البحوث بطريقة العالم لا بروح الاديب الفنان ، ومن اجل ذلك لا يتغلغلون الى صميم الادب العربي.

« فليطمئن اهل الصناعتين : النثر والشعر ، فان المستقبل لن يبخسهم حقهم انهم لن يكونوا كاسلافهم يعيشون في حمى الامراء ومن فضل ما يسخو به العظماء والكبراء . سوف يكونون قوة يرهب بأسها وتخشى سطوتها . سيكونون القادة الحقيقيين للشعب . وسيتحكمون في القلوب والعقول يهيمنون على الشعب ويكيفون اخلاقه ويصبونه في القالب الذي يشتهون.

« وسيعكس المسرح حياتنا المخبوءة والظاهرة ويعيد الحياة الى تاريخنا المنسي . وسينشط كتابنا الى تأليف القصص السينمائية.

« كل هذا سيؤدي الى تطور اللغة فان تقدم اللغات ظاهرة تدل على حيوية الامم . والادباء هم الذين يستطيعون وحدهم ترقية اللغات وبعث الحياة فيها.»